الامثال والاساطير اللبنانية

المختصّة باشهر السنة الشمسية

بقلم لحد خاطر

آب

آب من لفظة كلدانية بمعنى « الثمر الناضج » ، سمي بها هذا الشهر لنضج الاثمار الصيفية فيه كالعنب والتين والاجاص والرمان والسفرجل وغيرها.

يقابل آب عند الفرنسيين «اوت» ، وعند الانكليز «اوغست» ، وقد اخذ هؤلاء هذا الاسم عن الرومانيين الذين ، عملاً بقرار مجلس شيوخهم ، اطلقوا على هذا الشهر اسم احد امبراطرتهم اغسطوس قيصر ، تكريماً له وتخليداً لذكراه. وقد خصّوا هذا الشهر بذلك دون سواه لان اغسطوس قيصر تقلّد فيه منصب القنصلية ، اي رئاسة الحكومة الرومانية ، وكان يقيم فيه ثلاث حفلات بهيجة: الاولى تذكاراً لاستلامه امرة الجند الروماني ، والثانية تذكاراً لاخضاعه البلاد المصرية ، والثالثة تذكاراً لاخماده نار فتنة اهلية.

وكان الرومان يدعون هذا الشهر قبل تسميته هذه الجديدة سكستيليس اي السادس لانه كان سادس شهر من سنتهم المبتدئة باذار ، وكان اولاً ثلاثين يوماً فجعلوه بعد هذا الابدال واحد وثلاثين يوماً، احتراماً للاسم الذي اعطوه اياه ، ولئلا ينقص عن رديفه تموز الذي اسموه « يوليو » باسم احد امبراطرتهم يوليس قيصر وجعلوه واحد وثلاثين يوماً لمثل الغاية المشار اليها ، واخذوا اليوم المزاد على آب من شباط ، على ما مرّ بك من قبل ، فاصبح شباط في السنة الكبيسة تسعة وعشرين يوماً ، وفي السنين العادية ثمانية وعشرين كما هو الآن.

ولآب عند الميثولوجيين ، اي اصحاب الخرافات الدينية القديمة ، صورة رمزية تمثله برجل عارٍ ذي شعر مشعث ، وفي يديه اناء صغير شبه قرن يشرب

منه ، والى جانبه ريش طاووس ووعاء كبير للماء اشارة الى ما يقع فيه من حرّ لافح وميل شديد الى الابتراد بالماء.

. . .

وآب في لبنان شهر نضج الاثمار . واللبنانيون ، قبل ان توافرت لديهم طرق المواصلات واخترعت السيارات التي اصبحت تأتيهم بصنوف الفواكه المبكرة فور نضجها من مواقعها الحارّة فتكتظّ بها اسواقهم ويتناولون حاجتهم منها كانوا يرقبون فواكههم الوطنية بذاهب الصبر وقد وضعوا لها عبارات مأثورة تؤذن بمواعيد ظهورها ، من ذلك ما تطلق عندهم بالعنب المعدود لديهم «ملك الفواكه» والذي يبدأ نضجه في لبنان في هذا الشهر . من تلك العبارات قولهم : « في عيد الرب (٦ آب) نقّي حبّ » اشارة الى ان العنقود ينضج منه في اوائل هذا الشهر بعض حباته. و« في عيد السيدة (١٥ آب) صفّوا العنب عالميدة » اي على المائدة ، اشارةً الى ان العنب يكمل نضجه في هذا التاريخ فيقدم منه للآكلين على مائدة الطعام ، وربما كان ذلك اشارةً الى عادة قديمة لا تزال مرعية عند بعضهم ، وهي انهم في هذا العيد يحملون بواكير العنب الى الكنيسة فيضعونها على مائدة فيها ليباركها الكاهن ويوزّعها هو ام يوزعونها هم على المؤمنين ومن ثم يباشرون جنيه لحاجاتهم المنزلية وبيعه في الاسواق . و« في ٢٠ آب ادخل الكرم ولا تستهاب » ويريدون بذلك ان العنب في هذا التاريخ يتمّ نضجه ويأذن زمن دخول الكرم وتناول ما يراد من العنب منه بدون اي محذور .

وآب في لبنان شهر الحرّ لذلك اسموه « آب اللهّاب » . واوّله موعد انتقالهم الى المصايف ولكل ساحل من سواحل لبنان مصايف معروفة تناوحه في الجبال ، وقد اصبح لبنان لهذا العهد مصيفاً مأثوراً لابناء الاقطار المجاورة يقصدون اليه لانتجاع العافية والتلذذ بمشاهده الخلابة ، وقد كثرت المصايف اللبنانية لهذا العهد واهتمت بها الحكومة اهتماماً مشكوراً فاصبح الاصطياف في لبنان موسماً يدرّ على اهليه اخلاف الربح.

على انه لا تمرّ ايام من آب حتى تأخذ الشمس بالرجوع نحو خطّ الاستواء

فيتلطف الهواء نوعاً وقد قال اللبنانيون في ذلك : « عيد التجلي (٦ آب) يقول للصيف ولِّ » اي اذهب.

وفي منتصف آب تدخل الشمس برج الاسد ويقولون في ذلك : « متى دخلت الشمس برج الاسد قُل الحرّ بعد والجوّ فسد » اي تغير واخذ يميل نحو الخريف والهواء المعتدل اللطيف.

وقد يكثر الضباب في اول هذا الشهر ، فيهشّ له المزارعون لتأثيره في انضاج فواكههم ويسمونه باصطلاحهم : « طباخ العنب والتين »

واذا مضى آب برد الماء والهواء في لبنان وخفّت وطأة الحرّ. وقد قال احد الشعراء في ذلك :

برد الماء وطاب الليـ ـلُ والنُّـ ـذ الشرابْ
ومضى عنك حزيرا نٌ وغوزٌ وآبْ

وفي آب يواصل المزارعون دراسة حبوبهم وتذريتها وهواء آب في لبنان اوفق الاهوية لتذرية الحنطة وفصل حبها عن قشها فاذا لم يذرّ فيه الفلاح حنطته تولاه الندم بعد حين لان الريح تشتدّ في ايلول وتصبح غير صالحة للغرض المتقدم. ويقول الفلاحون في ذلك مثلهم المشهور : « اللّي ما ذرّى في آب ، شحم قلبه ذاب »

والاجّاص من اكثر الفواكه اللبنانية بعد العنب والتين واسمه العامي عندهم « النجاص » وهو نوعان سكري ومغزلي وكلاهما لذيذ شهي المذاق ، وقد قال احد الزجالين اللبنانيين القدماء في الاجاص البيتين التاليين :

يقول النجاص انا النجاص بناته يا معلمي السكري يا سعد من ذاقه
روحوا لمن علته بتشد على خناقه وقولوا باني دوا المضنى وترياقه

ويندر في آب سقوط المطر وقد لاحظ اللبنانيون ذلك فقالوا في امثالهم بهذا المعنى : « جدّتي خبرني عن جد وأب ، كل الشهور بتشتي ما عدا شهر آب »

ايلول

ايلول من لفظة « اولولو » الكلدانية ، قيل ان معناها « الشر » تدخل فيه الشمس برج الميزان. يقابله من الاشهر الافرنجية سبتمبر اي السابع ، اخذاً

عن الرومانيين ، كان الزراع القدماء يقيمون فيه الحفلات التكريمية لقولكان اله الحدادين ، ويعدّون ادواتهم الزراعية تأهباً للحراثة.

. . .

وايلول في لبنان من الاشهر اللطيفة تخفّ فيه الحرارة ويبرد الهواء والعامة تقول « يقلب الهواء » اي يتغيّر متقلّباً من حار الى بارد. ومن اقوالهم فيه: «ايلول طرفه بالشتاء مبلول» وقال احد شعرائهم :

لقد مضى القيظ واحتثّت رواحله وطابت الراحُ لما جاء ايلولُ

ويعدّ اللبنانيون في ايلول مؤونتهم للشتاء مدّخرين الحبوب على انواعها ، ويقولون في ذلك :« في ايلول دبّر المكيول ، للعدس والحمص والفول »

ومن المؤن الخاصّة التي يعنى بها اللبنانيون ويهيئونها للشتاء « القورما » وهي لحم يغلونه من اغنامٍ يعلّفونها طيلة الصيف لهذه الغاية ، و«الكشك» وهو دقيق يتخذ من منقوع اللبن والبرغل بعد اختماره ، والتين المطبوخ بالسكر المطيّب بقلوب الجوز واللوز والسمسم. هذا عدا ما يحفظون من الجبن والقريشة واللبن (الشديد او المقطوع) ينقعونه بالزيت أكرًا كل منها بحجم الجوزة ، والعسل ومربيات السفرجل والاجاص.

ومن تلك المؤن البيض والزبيب والدبس والمخلّلات بانواعها. وبعض هذه المؤن لا يهتمون بحفظه قبل ايلول مخافة ان تفسده شدة الحر وتبلوه بالعفن.

ومن امثالهم عن التموّن في ايلول قولهم :« في ايلول تموّن لعيالك واخلي الهم عن بالك » ويقولون ايضاً : « تموّن في الصيف كل ما يقول لك الشتاء هاته » ، و«حجار الصيف تنفع للشتاء.»

وقد كان جدودنا يعلقون كثيرًا من الاهمية على اعداد المؤونة للشتاء ، لان المواصلات في ايامهم كانت مستصعبة والطرق غير امينة ، فكان احدهم اذا احتاج الى شيء في فصل الامطار وجد مشقّة عظيمة في الحصول عليه ، لذلك كانوا يطربون في اغانيهم كل من تجاسر على السفر منفردًا حتى الى دمشق وينعتونه بالبطولة :

جوزك يا مليحة راح على الشام وحده

جوزك يا مليحة بو زيد الهلالي

وفي ايلول ينضج الزيتون لكنهم لا يقطفون منه الا ما ارادوا اعداده « اخضر » لمؤونة الشتاء. ويسمونه ايضاً « المسبَّح » من تسبيحه في الماء ، او ما شاؤوا استخراج زيته لحاجتهم الوقتية ويدعونه : « الزيت الايلولي » ويفهمون به الزيت الذي يستعمل موقتاً ولا يصلح للادخار مؤونةً .

وفيه يتمّ نضج العنب في الغالب ويباشر صنعه زبيباً او دبساً او نبيذاً او عرقاً .

ومن عنبهم نوع يعرف « بالصبّاغي » اسود اللون يستوحشون لمنظره ويتخذون نضجه واسوداد عناقيد - نذيراً بزوال الصيف ، زمن الرخاء والسعة ، الصيف الذي يقولون عنه : « باطه واسع ، ولو كانت له امّ كانت تبكي عليه » ، ومؤذناً بقرب مجيء الشتاء زمن العناء والضيق ، ويقولون في ذلك : « تعي الجدي ولا سواد العنقود » ومعناه ان شباط الذي نسمع فيه نقاء الجداء المبشّر بقرب الربيع فالصيف هو خير من ايلول الذي ينذر اسوداد عنبه بحلول الخريف فالشتاء زمن الزمهرير والامطار وانحباس الناس في المنازل انحباساً تنقبض له صدورهم وتستوحش انفسهم .

وفي ١٤ ايلول يقع عيد الصليب ولهذا العيد المبارك عند اللبنانيين احترام بليغ ، وفي مسائه اعتادوا اقامة الزين والتنويرات ورشق الاسهم النارية في الفضاء ، وهذه العادة قديمة يعيدها بعضهم الى عهد الملك هرقل ، وآخرون الى عهد القديسة هيلانة والدة قسطنطين ، وله ايضاً عندهم ادلة على ما يقع في عامهم المقبل من صحو ومطر ورخص وغلاء والذين يعتقدون ذلك يلاحظون يوم وقوعه من الاسبوع وتبدّل الطقس فيه ومنهم من يرقب النجوم في مسائه ، ولملاحظاتهم تلك حسابات يحسبونها واستنتاجات يستنتجونها .

ومن اخصّ اعتقاداتهم تلك ما يسمونه البواحير او الصليبيات ، وهي الايام الاثني عشر التي تبدأ من عيد الصليب ، ويستدلّ من كل منها على حالة الهواء في كل شهر من اشهر السنة القابلة ، على ان يحسب يوم العيد لشهره اي لايلول ، وهذه الايام تعرف عند العرب بالقاقم . وقد عرفت بين اللبنانيين من

يجيد استخدام هذه الطريقة بحسبان عدة ساعات تكل يوم فيكادون يعينون ايام المطر والصحو من السنة القابلة تعييناً قلّما يخطئون فيه.

ولهم في الاستدلال على حالة الجوّ في السنة المقبلة طريقة اخرى يستعملونها مساء عيد الصليب وهي: يأخذون عشية العيد اثنتي عشرة ورقة تين او توت ويشدّونها الى قضيب ينيطونه بجدار معرضاً لسقوط الندى ويخصون كل ورقة بشهر ابتداء من ايلول ثم يبكرون في الغداة لتفحصها فما كان منها جافاً كان شهره جافاً، وما كان طرياً رطباً كان شهره كذلك.

وكثيراً ما يتجهّم الجوّ بعد عيد الصليب في اواخر ايلول وتتساقط الامطار ويقرس البرد لذلك يقولون: «بعد عيد الصليب الدنيا بتميب» اي تصير عاتبة اشبه بايام الشتاء في اصفرارها وتعكرها، ويقولون ايضاً: «متى صلّبت غرّبت» اي صارت شمس صيفها على وشك الغروب.

وبعد عيد الصليب تكون الظلال قد جمعت من الاملاك، فتزول هيبتها وحرمتها ويتركها الناطور، ويدخل اليها الرعاة بماشيتهم ويعيث فيها الحطابون ويقولون في ذلك: «بعد عيد الصليب كل اخضر بيسيب» اي يهمل.

ولعلّ ذلك الاهمال كان سبباً لخراب الغابات اللبنانية وقد احسنت الحكومة الحاضرة بما وضعته من القوانين الصارمة لحماية الاملاك والغابات والاشجار وحقّ لها الشكر، وعلى الاهلين ان يساعدوها في ذلك وان يقبلوا على تحريج الاراضي الجرداء اغتناماً لما ينجم عنها لهم ولبلادهم من المنافع العميمة.

وتطول في بعض السنين ايام الصحو بعد عيد الصليب ويرتفع الحرّ فيظن الناس انفسهم في صيف جديد وقد قالوا في ذلك: «بعد عيد الصليب الآخراني، صيف ثاني» اي بعد عيد الصليب على الحساب الشرقي. وقالوا: «ما لك صيفية، الا بعد الصليبية.»

وفي ٢١ ايلول يتساوى الليل والنهار ويبدأ من ثم فصل الخريف، وهو المسمى زمن الاعتدال الخريفي، او الفصل الذي ينتقل منه تدريجاً من الصيف الى الشتاء. ويقول اللبنانيون في ذلك: «صلّب واعبر» اي بعد عيد الصليب اترك الصيف واستعد لاستقبال الشتاء.